الزقورات من عراقة التاريخ والحضارة إلى التهميش السياحي

م. مدير مصطفى عبد الكريم عون
الجامعة التكنولوجية/كليه الهندسة الكيمياوية

البريد الإلكتروني Email : mustafaalane83@gmail.com

الكلمات المفتاحية: الزقورات، المنهج الوصفي التحليلي، الخطط السياحية.

كيفية اقتباس البحث

عون ، مدير مصطفى عبد الكريم، الزقورات من عراقة التاريخ والحضارة إلى التهميش السياحي ،مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، شباط ٢٠٢٦، المجلد:١٦ ،العدد:٢ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

Ziggurats: From a place of historical and cultural significance to neglected tourism

(Assistant Manager)
MUSTAFA ABDULKAREEM OUN
University of Technology/College of Chemical Engineering

Keywords : Ziggurats, descriptive analytical approach, tourist plans.

How To Cite This Article
OUN, MUSTAFA ABDULKAREEM, Ziggurats: From a place of historical and cultural significance to neglected tourism, Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, February 2026,Volume:16,Issue 2.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract

This research explores the ziggurats as one of the most prominent architectural and religious landmarks left by the civilizations of Mesopotamia. The ziggurat represents a symbolic embodiment of the ancient human relationship with the heavens and deities, serving as a living testament to the evolution of religious and engineering thought in Sumerian, Babylonian, and Assyrian cultures. The study focuses on analyzing the architectural structure of ziggurats, their historical origins, religious and social functions, and documents key examples such as the Ziggurat of Ur and the Ziggurat of Aqar Quf.

Despite their historical significance, ziggurats suffer from clear touristic marginalization, both in terms of media promotion and institutional attention, leading to their absence from contemporary cultural and touristic awareness. This research aims to analyze the causes of this decline by comparing local and international interest, and evaluating relevant cultural and tourism policies.

The study adopts a descriptive-analytical and comparative methodology, encompassing historical, architectural, and touristic dimensions,

supported by documented academic references. It concludes with practical recommendations to reintegrate ziggurats into the cultural and touristic landscape, enhancing their presence in public consciousness and restoring their status as part of the global human heritage.

ملخص

يتناول هذا البحث دراسة الزقورات بوصفها من أبرز المعالم المعمارية والدينية التي خلفتها حضارات بلاد الرافدين، حيث تمثل الزقورة تجسيد رمزي لعلاقة الإنسان القديم بالسماء والآلهة، وتُعد شاهد حي على تطور الفكر الديني والهندسي في الحضارات السومرية والبابلية والآشورية. وقد ركّز البحث على تحليل البنية المعمارية للزقورات، وأصولها التاريخية، ووظيفتها الدينية والاجتماعية، مع توثيق أبرز النماذج مثل زقورة أور وزقورة عقرقوف.

ورغم هذه العراقة، فإن الزقورات تعاني من تهميش سياحي واضح، سواء من حيث الترويج الإعلامي أو الاهتمام المؤسسي، مما أدى إلى غيابها عن الوعي الثقافي والسياحي المعاصر. وقد سعى البحث إلى تحليل أسباب هذا التراجع، من خلال مقارنة بين الاهتمام المحلي والدولي، وتقييم السياسات السياحية والثقافية ذات الصلة.

اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي والمقارن، واشتمل على دراسة تاريخية ومعمارية وسياحية، مدعومة بمراجع أكاديمية موثقة. كما خلص إلى مجموعة من التوصيات العملية لإعادة دمج الزقورات في المشهد السياحي والثقافي، بما يعزز من حضورها في الوعي العام، ويعيد الاعتبار لها بوصفها جزء من التراث الإنساني العالمي.

المقدمة:

تُعد الزقورات من أبرز المعالم المعمارية والدينية التي خلفتها حضارات بلاد الرافدين، حيث تجسّد هذه الأبنية المدرّجة روح العصر السومري والبابلي والآشوري، وتُعبّر عن رؤية الإنسان القديم للعلاقة بين الأرض والسماء، والمكانة المقدسة للآلهة في الحياة اليومية. لقد شُيّدت الزقورات كمعابد مرتفعة، تتوسط المدن القديمة، وتُعدّ مركز روحي وسياسي، مما يجعلها شاهد حي على تطور الفكر الديني والمعماري في الشرق الأدنى القديم.

ورغم هذه العراقة التاريخية، فإن الزقورات اليوم تعاني من تهميش سياحي واضح، سواء على المستوى المحلي أو الدولي، إذ لا تحظى بالاهتمام الكافي من الجهات المعنية بالسياحة الثقافية، ولا تُروّج لها كما ينبغي في الخطط السياحية أو المناهج التعليمية. هذا التناقض بين القيمة التاريخية والإهمال المعاصر يطرح تساؤلات جوهرية حول أسباب هذا التراجع، وآليات إعادة إحياء هذه المعالم لتأخذ مكانتها اللائقة في الوعي الجمعي والخرائط السياحية.

يهدف هذا البحث إلى دراسة الزقورات من منظور شامل، يجمع بين التحليل التاريخي والمعماري والديني، ويرصد أبرز الزقورات في بلاد الرافدين، مع التركيز على زقورة أور كنموذج فريد. كما يسعى إلى تحليل أسباب التهميش السياحي، من خلال مقارنة بين الاهتمام المحلي والدولي، واقتراح حلول عملية لإعادة دمج الزقورات في المشهد السياحي والثقافي العربي والعالمي.

مشكلة البحث:

رغم أن الزقورات تُعد من أبرز الشواهد المعمارية والدينية التي خلفتها حضارات بلاد الرافدين، وتمثل رمز لتطور الفكر الإنساني في مجالات الدين والهندسة والسلطة، إلا أنها تعاني اليوم من تهميش واضح في السياق السياحي والثقافي، سواء على المستوى المحلي أو الدولي. فهذه المعالم، التي كان يُفترض أن تكون محج للباحثين والسياح، لا تحظى بالاهتمام الكافي من الجهات المعنية بالترويج السياحي، ولا تُدرج ضمن أولويات الخطط التنموية أو الثقافية، مما أدى إلى غيابها عن الوعي العام، وتراجع حضورها في المشهد السياحي العالمي.

وتكمن المشكلة في التناقض الصارخ بين القيمة التاريخية والمعمارية والدينية للزقورات، وبين واقع الإهمال والتجاهل الذي تعاني منه، مما يثير تساؤلات حول أسباب هذا التراجع، ومدى تأثيره على الهوية الثقافية، وسبل إعادة الاعتبار لهذه المعالم بوصفها جزء من التراث الإنساني العالمي.

أهمية البحث:

تنبع أهمية هذا البحث من كونه يسعى إلى تسليط الضوء على أحد أبرز المعالم المعمارية والدينية في تاريخ الحضارات القديمة، وهي الزقورات، التي تمثل تجسيد حي لفكر الإنسان الرافديني في علاقته بالسماء والآلهة والسلطة. ورغم هذه القيمة الرمزية والتاريخية، فإن الزقورات تعاني من تهميش واضح في السياق السياحي والثقافي المعاصر، مما يجعل دراسة هذا الموضوع ضرورة علمية وثقافية.

وتتجلى أهمية البحث في النقاط التالية:

١- إحياء الوعي التاريخي والمعماري من خلال تحليل الزقورات بوصفها معالم حضارية فريدة، يعيد البحث الاعتبار لهذا الإرث المعماري والديني الذي شكّل جزء من هوية بلاد الرافدين.

٢-الكشف عن أسباب التهميش السياحي، فيساهم البحث في فهم العوامل التي أدت إلى غياب الزقورات عن الخارطة السياحية، سواء كانت ثقافية أو إدارية أو إعلامية، مما يفتح المجال لمعالجة هذه الإشكاليات.

٣-تعزيز السياحة الثقافية المستدامة، وذلك من خلال تقديم مقترحات عملية لإعادة دمج الزقورات في المشهد السياحي، يسهم البحث في دعم السياحة القائمة على التراث، بما ينعكس إيجاب على الاقتصاد المحلي والهوية الوطنية.

٤-إثراء الدراسات الأكاديمية، فيضيف البحث إلى حقل الدراسات التاريخية والمعمارية والدينية مادة تحليلية جديدة، تجمع بين المنهج التاريخي والنقد السياحي، مما يجعله مرجع للباحثين والمهتمين.

٥-المقارنة بين الاهتمام المحلي والدولي، يبرز البحث الفجوة بين تعامل المؤسسات المحلية والدولية مع الزقورات، مما يفتح باب للنقاش حول السياسات الثقافية وأولويات الترويج السياحي.

أهداف البحث:

يسعى هذا البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف العلمية والثقافية التي تتقاطع مع دراسة الزقورات بوصفها معالم حضارية وتاريخية مهمّشة سياحي، وتتمثل أبرز هذه الأهداف فيما يلي:

١- تحليل البنية المعمارية والدينية للزقورات: دراسة الخصائص الهندسية والرمزية للزقورات، وتفسير علاقتها بالوظيفة الدينية والاجتماعية في حضارات بلاد الرافدين.

٢-رصد أبرز الزقورات التاريخية: توثيق أهم الزقورات في العراق وسوريا وإيران، مع التركيز على زقورة أور كنموذج معماري وروحي فريد.

٣-استكشاف أسباب التهميش السياحي: تحليل العوامل التي أدت إلى غياب الزقورات عن المشهد السياحي، سواء كانت ثقافية، إعلامية، إدارية، أو سياسية.

٤-مقارنة الاهتمام المحلي والدولي: دراسة الفجوة بين تعامل الجهات المحلية والدولية مع الزقورات، من حيث الترويج، الحماية، والتوظيف السياحي.

٥-اقتراح آليات لإحياء السياحة الثقافية: تقديم توصيات عملية لإعادة دمج الزقورات في الخطط السياحية والتعليمية، بما يعزز من حضورها في الوعي العام.

٦-إثراء الحقل الأكاديمي: المساهمة في تطوير الدراسات التاريخية والمعمارية والسياحية من خلال بحث متعدد الأبعاد يجمع بين التحليل النقدي والتوثيق المرجعي.

منهج البحث:

نظر للطبيعة المركّبة لموضوع البحث، والذي يجمع بين الجوانب التاريخية والمعمارية والدينية والثقافية والسياحية، فقد تم اعتماد المنهج الوصفي التحليلي مدعوم بمقاربة مقارنة.

خطة البحث:

المبحث الأول: مدخل في عموميات البحث

المطلب الأول

نبذه عن حضارة بلاد الرافدين (التسمية-الأصل):

أولاً: التسمية: يقصد بحضارة بلاد الرافدين (النهرين) حضارة العراق القديم، وهي إحدى الحضارات القديمة القليلة التي أطلق عليها المؤرخ الشهير توينبي مصطلح الحضارة الأصلية أو الأصيلة(Original) ، وهي الحضارة التي لم تُشتق من حضارة سابقة لها بل نشأت وتطورت منذ عصور ما قبل التاريخ (باقر، ١٩٨٠م: ٩).

وأُطلق على بلاد الرافدين أيضاً اسم الجزيرة وأرض الفُراتين، وسكانه الفراتيّون، واقترن اسمه بالرخاء والازدهار، منذ أزمنة بعيدة. فقد ذكر «هيرودوتس» قبل ميلاد السيد المسيح بنحو ٥٠٠ عام أن أرض العراق هي من أزكى البلاد تربةً وأخصبها مادةً للحنطة؛ إذ تؤتي الحبة الواحدة منها مئتي ضعف وأحياناً ثلاثمئة ضعف. وكان (الشنعاري) في العهد القديم إذا سار في أرضه الغريلية فلا يقع طائر بصره إلا على غابات مزدحمة من النخيل والغرب والصفصاف (بفن، ١٩٦١م: ١٦-٢٠).

وأطلقت التوراة عليه اسم (أرض شنعار) كما ورد ذلك في سفر التكوين، وكان يراد بها منطقتي سومر وأكد حيث قامت فيها إمبراطورية بابل. بينما أطلق (كتيسياس) على طرفها الجنوبي اسم بلاد كلدو (روثن، ١٩٨٠م: ١٠-١١) الواقعة شرق الصحراء العربية (الى الغرب من شط العرب والخليج) على حد تعبير المؤرخ والجغرافي سترابون (روثن، ١٩٨٠م: ١٠-١١) وهو ما يعني أن سترابون جعل بلاد الرافدين تمثل القسم الشمالي من السهل الطموي الأسفل، وأطلق على القسم الجنوبي اسم (بلاد بابل) (لويد، ١٩٨٠م: ٨).

ويرجح مترجم كتاب عظمة بابل عامر سليمان إبراهيم أن المقصود بمصطلح (ميزوبوتاميا) الوارد ذكره في العهد القديم هو للدلالة على الإقليم المحصور بين نهري الفرات والخابور والبليخ أو كلا هذين النهرين مع الفرات، ربما هذا في المرحلة الأولى من إطلاق التسمية. ويرى العالم فلنكشتاين أن مصطلح (ميزوبوتاميا) قد يعود بأصوله إلى تسميات قديمة وردت في بعض النصوص المسمارية الأكدية على هيئة بيرت نارم (Birtnarm) التي تعني (بين النهرين) (ساكز، ١٩٧٩م: الهامش ٢٣). وأصبح يطلق عليها بلاد الرافدين فيما بعد.

وحدد بليني بلاد الرافدين بالبقعة الممتدة من القسم الشمالي من السهل الطموي إلى الخليج العربي جاعلاً رقعة هذه البلاد مطابقة على وجه التقريب للعراق الحالي بحيث تشكل جبال

زاكروس حدوده الشرقية (لويد، ١٩٨٠م: ٨). وبلاد الرافدين بنظر هاري ساكز تعني بلاد بابل وآشور القديمة (ساكز، ٢٠٠٠م: ١٥–٢٩)، وحدد روبرت فيفر هذه البقعة بالبلاد الممتدة ما بين الخليج العربي ومنابع نهري دجلة والفرات (فيفر، ١٩٦٨م: ١/٩٤–٩٥).

أما العرب فقد أطلقوا على مصطلح بلاد الرافدين اسم (أرض السواد) أو (العراق) بعد موقعة القادسية سنة ٦٣٧م. قال ياقوت الحموي: إن العراق هو السواد، والعراق هي بابل. وقال آخرون: العراق هي الطور والجزيرة والعِبْر. والطور تمتد ما بين ساتيدما (جبال حمرين) وإلى دجلة والفرات (ياقوت الحموي، ١٩٥٧م: ٤/٩٤–٩٥). وأصبح العراق بعد ذلك يشمل جميع بلاد بابل القديمة (سوسة، ١٩٤٥م: ١/٢). أي جميع أراضيه بحدوده الحالية (ساكز، ٢٠٠٠م: ١٥).

يظهر مما تقدم أن بلاد الرافدين هي العراق الحديث الذي يمتد مسافة ٩٦٠ كم من منابع النهرين (دجلة والفرات) حتى الخليج العربي (فيفر، ١٩٦٨م: ٥٢). وتشير المصادر إلى أن أسماء الأقاليم وحدودها في عهد الدولتين الأموية والعباسية ظلت على ما كانت عليه في أيام الأكاسرة في الغالب. فكانت بلاد الرافدين (النهرين) وهي العراق الحالي مقسمةً إلى إقليمين زراعيين: الجنوبي ويعرف بإقليم السواد، ويسميه ياقوت الحموي أيضاً (العراق العربي) (السعدي؛ الحموي، ١٩٩٢م: ٥٧). والشمالي ويمتد شمال الإقليم السابق حتى منابع نهري دجلة والفرات، وكان يعرف بإقليم الجزيرة (حلمي، د. ت: ١/٤) أو الجزيرة الفراتية أو إقليم (آقور).

وفي الخلاصة نقول قديماً أطلق الإغريق كلمة (ميزوبوتاميا) على (بلاد الرافدين) منذ القرن الرابع قبل الميلاد. ويراد بهذا المصطلح السهل الواقع بين نهري دجلة والفرات أو العراق القديم. وحدد كل من (بليني وهاري ساكز وروبرت فيفر) بلاد الرافدين بالبقعة الممتدة ما بين منابع دجلة والفرات وامتدادها إلى الخليج العربي، أي بلاد بابل وآشور القديمة. ومع اختلاف الآراء حول ذلك إلا أن العالم فلنكشتاين يرى أن مصطلح (ميزوبوتاميا) قد يعود بأصوله إلى تسميات قديمة وردت في بعض النصوص المسمارية الأكدية على هيئة (بيريت نارم) التي تعني (بلاد النهرين). وتقسم بلاد الرافدين حسب التقاسيم التاريخية في تسميتها إلى (ياقوت الحموي، ١٩٥٧م: ٣/٢٧٢):

١–إقليم السواد: سمّي بهذا الاسم لسواده بالزروع والنخيل والأشجار مقارنةً بجزيرة العرب التي لا زرع فيها ولا شجر، وهم يسمون الأخضر سواداً، والسواد أخضر (ياقوت الحموي، ١٩٥٧م: ٣/٢٧٢). والعرب يجمعون بين الخضرة والسواد في الأسامي فسمّوا خضرة بلاد الرافدين سواداً (الماوردي، د. ت: ١٦٦). وبذلك يتفق معنى السواد بما يقابل معنى الريف في يومنا هذا. فهو تعبير عن الأرض الزراعية، وأبعاد هذه الأرض في تغير مستمر تبعاً للظروف التي تساعد في

اتساع الزراعة أو تقلصها (المياح، ١٩٩٠م: ٢٣٤-٢٣٥) وفيما يتعلق بأرض بلاد الرافدين الزراعية يقسم الجغرافيون العرب إلى منطقتين: الجنوبية ويسمونها (العراق) والشمالية ويطلقون عليها اسم (الجزيرة). ويكون طول السواد وفقاً للمسعودي (٣٤٦هـ) بما يعادل ٧٥٠ كم وعرضه في أقصى اتساع له ٤٨٠ كم (المسعودي، ١٩٨١م: ٥١) ويزيد ياقوت الحموي طوله نحو الشمال حتى يبلغ ٩٦٠ كم وبالعرض نفسه (ياقوت الحموي، ١٩٥٧م: ٢٧٢/٣) ويقسم ابن خرداذبه إقليم السواد إلى ثلاث مناطق إروائية زراعية هي (الدوري، ١٩٤٨م: ١٢):

-الأولى وتقع شرق نهر دجلة، يرويها دجلة والنهروان وتمتد من الدور في الشمال إلى نهاية ماداريا في الجنوب.

-الثانية ويرويها دجلة والفرات وتقع ما بين ماداريا في الشمال والخليج العربي في الجنوب.

-الثالثة وهي أوسع المناطق الثلاث وأكثرها انتاجاً وتقع ما بين النهرين، بين الأنبار على الفرات والدور على دجلة في الشمال، وبين البطيحة في الجنوب. وتدخل ضمن هذه المنطقة أنهر (جداول) الفرات الأربعة (عيسى، صرصر، الملك، كوثي)

٢-إقليم الجزيرة: يقع هذا الإقليم بين نهري دجلة والفرات شمال إقليم السواد ومجاوراً لبلاد الشام، وكان يمتد من جنوب الموصل إلى منابع النهرين، تقدر مساحته بنحو ٢٣٨٥٤١ كم^{٢} (سوسة، ١٩٧٤م، ١٠٧/١)، ويحدد الأصطخري وابن حوقل حدود الجزيرة بأنها تمتد من الجنوب من خط يمر بالأنبار إلى تكريت، ثم يصعد شمالاً إلى السن والحديثة والموصل وجزيرة ابن عمر وآمد ثم يتجه غرباً إلى سميساط ويستمر حتى يصل الفرات الذي يكون الحد الغربي للجزيرة (الدوري، ١٩٤٨م: ٥-٧).

ثانياً: أصل سكان بلاد الرافدين:

منذ نهاية العصر الجليدي الأخير، في حوالي ٨٠٠٠ – ٩٠٠٠ ق.م.، وإلى الوقت الحاضر كانت الجزيرة العربية تعاني جفافاً شديداً وتعرياً في التربة كان من نتيجته – كما يرى توينبي وجايلد – اتساع الصحراء، فأصبحت الأرض غير قادرة على استيعاب مزيد من السكان فبدأوا يهاجرون إلى خارج الجزيرة العربية على شكل عوائل صغيرة مسالمة ومنفردة، محدودة العدد وليس على شكل موجات كبيرة كاسحة في بداية الأمر. وأخذ هؤلاء المهاجرين يقطنون في أطراف الصحراء الأكثر خصباً، وقد ساعدوا فيما بعد على نشوء الحضارات المهمة في بلاد الرافدين (سوسة، ١٩٧٩م: ٢٢). وفي مصر بوادي النيل في الألف الرابع قبل الميلاد حيث اختلطوا بسكانها الأصليين من الحاميين حيث تتشابه صفاتهم الجسمية واللغوية (باقر، ١٩٥٦م: ١٩١/٢-١٩٢) وعُرف هؤلاء المهاجرون بالساميين (أو الجزريين أو العروبيين أو الفراتيين).

وكان أول من أطلق عليهم لفظ (الساميين) هو العالم النمساوي شلوتزر (Shlozer) سنة ١٧٨١م، وهم من صلب سام بن نوح الوارد ذكره في التوراة (الكتاب المقدس، سفر التكوين، الأصحاح ١٠، الآيات ٢١ – ٣١)، وشاعت هذه التسمية فيما بعد (الطعان، ١٩٧٨م: ٣).

لا تشير لفظة (السامية) إلى جنس وإنما إلى جماعة تتكلم اللغات السامية (مثل الأكدية والبابلية والعربية وغيرها) (فيفر، ١٩٦٨م: ٥٣) ويرى معظم المؤرخين الأجانب أن الساميين والعرب شيء واحد، فقد ذكر سبرنغر (Springer) أن جميع الساميين عرب لأن مصدر هجرتهم واحد وهو جزيرة العرب (ساكز، ١٩٧٩م: الهامشان ٣٤ – ٣٥).

وسكن الساميون في أوائل هجرتهم في سورية وأسسوا مستوطنات زراعية فيها على ضفاف نهر الفرات. ومنها هاجر الساميون المتحضرون إلى العراق (ساكز، ١٩٧٩م: ٢٨). حيث سكنوا البقعة المحصورة بين عانة وهيت معتمدين في حياتهم الزراعية على الري وأسسوا لهم وطناً في القسم الأعلى من الوادي (ويلكوكس، ١٩٥٥م: ١٥ و٤٥).

والقسم الآخر من المهاجرين الساميين الأوائل كانوا يدخلون سومر منذ أقدم العصور عن طريق حافة الصحراء الغربية. وأحد الأسباب التي تدعو إلى هذا التخمين احتمال وجود ساميين (عروبيين) في جنوب العراق عند وصول السومريين لأول مرة، حيث إن بعض الكتابات السومرية تحتوي على كلمات استعيرت من كلام عروبي. وهناك من يرى أن أقدم موجة كبيرة من المجموعات العروبية المهاجرة إلى العراق بدأت في الربع الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد (أي بعد سنة ٢٧٥٠ ق.م.). ولدينا من هذه الحقبة دليل على وجود جماعة تعرف باسم الأكديين (القدامى) انتقلت إلى شمال بابل من منطقة جبل سنجار (الواقعة إلى الشرق من سورية). كما وصلت سلالة أكدية إلى السلطة في شمال بابل، وكان لآخر ملك في كيش معروف باسمه العروبي (شرّوم – كين) أي سركون (سرجون) الذي يعني الملك الصادق الذي أسس فيما بعد مدينة أكد، وله وزير يحمل اسماً سومرياً (ويلكوكس، ١٩٥٥م: ١٥ و٤٥).

نستنتج مما تقدم أن السومريين (ثقافة أوروك) لم يكونوا أول من سكن بلاد بابل. ولعل هناك من سبقهم جماعة من الساميين (العروبيين) الممثلين بحضارة العبيد وأريدو سكنوها قبلهم بثلاثة آلاف سنة، وبأقل تقدير بألفي سنة. وتمثل ثقافة أريدو، بنظر كوردن جايلد، الطور الأول لحضارة العبيد (ويلكوكس، ١٩٥٥م: ٣٧). أي أنهم كانوا الأصول الأولى للعنصر العرقي الذي انتسبت إليه بعد ذلك حضارة (أوروك) وأنهم كانوا أول من استوطن على الأرض البكر في البلاد التي حملت فيما بعد اسم (سومر). وإذا كان الأمر كذلك فإن هذا العنصر العروبي يمثل المرحلة الأولى لحركة شعوب استمرت خلال حقب التاريخ (ويلكوكس، ١٩٥٥م: ٢٨–٢٩). فحينما

وصل السومريون إلى جنوب بلاد الرافدين وجدوا قرى مزدهرة تعود إلى العروبيين (الساميين) الذين جاؤوا من داخل الجزيرة العربية، وكانت تلك القرى أساس المدن السومرية (ويلكوكس، ١٩٥٥م: ٢٦). وهذا يعني أن السومريين لم يكونوا قد ظهروا بعد خلال عصور العبيد والوركاء وأريدو وجمدة نصّر فيما قبل التاريخ، لأنهم أسسوا حضارتهم – في العصور القديمة والحديثة بعد عصر العبيد – بأكثر من ألفي سنة على أقل تقدير، ومن عدَّ هذه العصور سومرية كان على خطأ (سوسة، ١٩٨٠م: ٢٦). ووجد السومريون لغة (غير لغتهم) سائدة في المنطقة مع الألف الثالث ولكنها كانت مستخدمة قبل ذلك بمدة طويلة. وهذا يشير إلى أن السومريين كانوا وافدين جدداً في تلك المرحلة (ساكز، ١٩٩٩م: ٣٣).

اختلف الرأي حول أصل السومريين، ويستبعد الآثاري طه باقر الأصل الجبلي (باقر، ١٩٥٦م: ٨٩/٢–٩٥). ويرى هاري ساكز أنهم جاؤوا من مكان ما من شرق بلاد بابل (ساكز، ١٩٧٩م: ٥٤). ويقترب رأي أحمد سوسة من المنطق ويرى أنهم جاؤوا من عيلام (الأهواز) البطائحية المجاورة والمشابهة لبيئتهم الهورية (سوسة، ١٩٨٠م: ٣٥). وهو رأي الخبير الآثاري «هند كوك» نفسه (سوسة، ١٩٨٠م: ٤٢).

بالرغم من قلة المعلومات عن سكان بابل القدماء (في الألف الرابع ق.م.) لكن الدراسات الأنثروبولوجية للهياكل العظمية التي وجدت في مقبرة أريدو والأربجية قرب الموصل والتي تنتمي إلى حضارة العبيد دلت على أن سكان العبيد وأريدو وتل حسونة هم من جنس البحر المتوسط الذين منهم الجزريون (العرب القدامى) (سوسة، ١٩٨٠م: ٤٢). وأن الجماجم القليلة الموجودة في بلاد الرافدين لا تختلف عن جماجم العرب المعاصرين (فيفر، ١٩٦٨م: ٥٣–٥٦). وأكد كارلتون كون أن أرض سومر كان يسكنها شعب ذو لغة سامية في أغلب الظن (سوسة، ١٩٨٠م: ٣١٧)

ويختلف السومريون عن الأكديين وبقية الساميين، فالسومريون ينتمون إلى جنس أبيض اللون (فان لون، ١٩٥٧م: ٢١/١)، أما الجماعات الأجنبية التي غزت بلاد الرافدين وعاشت فيه مثل الحثيين والعيلاميين والفرس فينتمون إلى الجنس الألبي الذي يتميز بأجسام ضخمة، وأنوف مقوسة سميكة (البرازي، ١٩٦٢م: ٧٥–٧٦)، وقد أثبتت حفريات كاورا وأربجية وتبة كورا وسنجار وتلعفر ووادي خابور وشهربازار وأربيل وجود حضارة العبيد في شمال وادي الرافدين. وطابق تقدم حضارة العبيد بشكلها الناضج (الزمن الذي توحدت به الأقسام العليا والسفلى من بلاد الرافدين) (الدباغ؛ الجادر، ١٩٨٣م: ١٦١) في وقت واحد أو أنها انتشرت من جهة الخليج العربي باتجاه الشمال (لويد، ١٩٨٠م: ٩٢) حيث وصلت إلى بلاد آشور بعد ظهورها في بابل ببضعة قرون.

وهذه تمثل أول وأقدم وحدة حضارية في تاريخ العراق ضمت أقسامه الشمالية والجنوبية معاً. وتمكن سرجون الأكدي فيما بعد من توحيد العراق في مملكة واحدة شملت جميع حدوده الحاضرة، و«أقام أول إمبراطورية في تاريخ العالم القديم». وشمل نفوذه جميع بلاد الشرق الأدنى، وامتدت إمبراطورية حفيده (نرام – سين) من أواسط آسيا الصغرى إلى الخليج العربي (ساكز، ٢٠٠٠م: ٢٩–٣٠). وعثر له على مسلة في ديار بكر على حدود أرمينيا، وبعد ذلك جاء الكوتيون وقضوا على حكم الأكديين، وهم جماعة جبلية بربرية متوحشة جلبوا الموت والمجاعة لبلاد سومر وأكد (بلاد بابل) (ساكز، ١٩٧٩م: ٧٠–٧١).

المطلب الثاني

الزقورات (تعريفها–أصولها التاريخية–شكلها وخصائصها الهندسية):

منذ أقدم عصور البشرية، شكّلت الزقورات في بلاد الرافدين رمزاً ساطعاً لعراقة الحضارة، وعبقرية الهندسة المعمارية، وعمق المعتقدات الدينية والكونية لدى شعوب العراق القديم. هذه الصروح الضخمة التي تميزت بهيكلها المدرج وظيفتها الطقسية، لعبت دوراً محورياً في نشأة ونمو الحضارة السومرية، والبابلية، والآشورية، لتصبح شاهداً مادياً وفكرياً على إحدى أعرق المنظومات الثقافية في التاريخ. ورغم الأهمية العالمية لهذه المعالم، إلا أن الزقورات تعاني اليوم من تراجع حاد في مكانتها السياحية محلياً ودولياً، وسط تحديات سياسية وعمرانية وثقافية متشابكة، باتت تهدد ديمومة الإرث الرافديني وتضعه أمام خطر النسيان والتهميش.

الزقورة، لغةً واصطلاحاً، هي بناء معماري ضخم على هيئة برج مدرَّج متعدد الطبقات، شُيّد خصيصاً لعبادة إله المدينة أو كأداة للربط بين الأرض والسماء (فهد، ٢٠٠٣م: ٢٩٢–٢٩٥)، وتعود كلمة "زقورة" إلى الأصل السومري "زيغورات" بمعنى "البناء العالي" أو "المرتفع"، بينما أطلقت عليها النصوص الأكدية اسم "زيگورارتو" أي "القمة" أو "الذروة" (الخميسي، ٢٠٢٣م: ١٥)، وقد مثلت الزقورات ذروة العمارة الدينية الرافدينية، حيث أنها لم تكن مجرد معابد ارضية بل صروحاً تعكس أنساقاً رمزية وروحية وسياسية متشابكة.

تمتد الجذور الأولى للفكرة الزقورية إلى عصر العبيد (نحو ٥٠٠٠–٤١٠٠ ق.م)، مع ظهور منصات طينية مرتفعة تضم معابد صغيرة. وقد وُجدت آثار ونقوش تصف مثل هذه المصاطب في أريدو وأوروك، وتبلورت الوظيفة الطقسية للزقورة عبر المراحل اللاحقة كما استدل عليها من نصوص ملوك السلالات الباكرة والمصادر الأكدية والبابلية (فهد، ٢٠٠٣م: ٢٩٢–٢٩٥).

المصادر التاريخية الأولية حول الزقورات تتنوع بين النصوص المسمارية المدونة على ألواح الطين، والتي تعود لأواخر الألف الرابع حتى الأول ق.م، وشهادات مؤرخين كلاسيكيين أمثال

هيرودوت وزينفونون. علاوة على ذلك، توفر نتائج التنقيبات الأثرية منذ القرن التاسع عشر وحتى اليوم، خاصة أعمال وولي في أور، ومعاينات لويد وباقر ولوحة إي ساگيل الخاصة بزقورة بابل، مادة تفصيلية حول الوصف البنائي والإحداثيات الدينية والمعمارية للزقورات (فريق تحرير موقع آثار، ٢٠٢٥م: ١–٢١).

تتميز الزقورات بهيكل هرمي مدرّج واضح، مؤلَّف من عدة مصاطب متوالية، تأخذ كل واحدة منها مساحة أصغر من سابقتها، ما يفضي إلى تكوين مسطح علوي يقام فيه معبد رئيسي للإله المحلي (فهد، ٢٠٠٣م: ٢٩٢–٢٩٥)، والغالب في التصميم أن تكون القاعدة مربعة أو مستطيلة، وتضيق المساحة تدريجياً مع الارتفاع، فيما تقود سلالم أو منحدرات ضخمة إلى قمتها. وكانت بعض الزقورات تضم ثلاث طبقات (مثال أور)، بينما بلغ بعضها سبع طبقات في فترات لاحقة (زقورة بابل) (فريق تحرير موقع آثار، ٢٠٢٥م: ١٥).

ومن الناحية الإنشائية، اعتمد المعماري الرافديني بشكل أساسي على الطوب اللبن (الطيني) المجفف بالشمس لبناء قلب الزقورة، مع طبقات خارجية من الطوب المحروق المعزَّز بالبيتومين أو القار للوقاية من الرطوبة والفيضانات (كريمر، ٢٠٠١م: ١١٥–١٣٠)، وتستعرض النصوص الأثرية مئات الآلاف من الطوبات التي تتطلبها القواعد (مثال: ٧٢٠ ألف طوبة لقاعدة زقورة أور) (باقر، ١٩٧٣: ٢٢٠–٢٣٥).

في التقنيات الهندسية، برع البناؤون في تدعيم البنية بضروب من المزاريب، وقنوات التصريف، والفتحات المخصصة لتهوية الجدران ومنع تراكم مياه الأمطار، كما استخدم الحصر القصب بين طبقات الطوب لزيادة المتانة (فرانكفورت، ١٩٩٠م: ٩٨–١١٢)، وسجلت لوحات إي ساگيل مقاسات دقيقة لطوابق زقورة بابل (إيتيمينانكي)، وحددت الوحدات المستخدمة آنذاك مثل النيندانو (تعادل تقريباً ٦ متر) (فريق تحرير موقع آثار، ٢٠٢٥م: ١٥).

أما المواد المستخدمة، فإلى جانب الطوب اللبن والطوب المحروق، استُعملت بعض أحجار الأساسات والمواد العضوية الأخرى كالقصب والتبن، وكانت الواجهات الخارجية غالباً مزججة أو مطلية بألوان ذات رموز فلكية أو دينية – الأبيض، الأزرق، الأحمر – وتعكس الأعمدة الطلعية والزخارف المتنوعة مدى البراعة الفنية والمنهج التزييني المستخدم. كما زُينت بعض الزقورات بألواح من الطوب المزجّج كتب عليها اسم الملك أو المتبرع، أو مشاهد دينية ونقوش صورية، ووُضعت تماثيل رمزية على المداخل أو القمة كما هو واضح في بابل وأور (علوان، ٢٠١٩م: ٥٥–٧٠).

المبحث الثاني

الزقورات وأهميتها المركزية في الماضي والحاضر

الزقورات لم تكن مجرد صروح ضخمة بل مركزاً دينياً محورياً للمدينة والدولة. لقد ارتبطت بفكرة "الجبل المقدس" رمزياً، إذ كان ينظر لها كحلقة الوصل بين الأرض والسماء، ومكان حلول الإله في العالم الأرضي ووصفها السومريون والبابليون بأنها "بيت الإله" أو "بوابة السماء"، بينما كانت طقوس الصعود إلى القمة تعكس رحلة الإنسان نحو الخلاص أو التواصل مع العوالم العليا (حنون، ٢٠٠٥م: ٨٨–١٠٥).

اقتصرت طقوس الزقورة المركزية على رؤساء الكهنة وحاشية المعبد، بينما كان الناس يتجمعون في الساحات المحيطة، يشهدون تقديم القرابين والطقوس الموسمية وقد لجأت بعض النصوص السومرية إلى تصوير الصعود إلى الزقورة كرحلة للبطل نحو الخلود، كما تُلمح إليه ملحمة جلجامش (حنون، ٢٠٠٥م: ٨٨–١٠٥).

كما طرحت بعض الدراسات فرضيات عن دور الزقورات كمراصد فلكية، استُعملت لرصد حركة النجوم وعلى رأسها القمر – نانا/سين – والهلال والأجرام السماوية الأخرى. النصوص الأكدية واليونانية القديمة، مثل كتابات هيرودوت ودايودرس سيكلوس، تفسر العلو الشاهق للزقورة بوظيفة استقائية فلكية بالإضافة للهدف الشعائري (صالح، ١٩٩٨م: ١٤٥–١٦٠).

ولم تنحصر وظيفة الزقورة في الجوانب الروحانية بل كانت محوراً إدارياً واقتصادياً، ففيها تدار شؤون المدينة: التخزين، توزيع الموارد، وتسجيل الحسابات وتوثيق العقود، وكان المعبد في قمة الزقورة عبارة عن مؤسسة مالية ومدنية يديرها الكهنة، ويشرف على موارد المدينة بمباركة الملك الذي كان راعياً للبناء والسلطة الدينية (حنون، ٢٠٠٥م: ٨٨–١٠٥).

•الزقورات في الحضارات السومرية والأكادية والبابلية والآشورية:

١–**الزقورات السومرية:** البدايات الأولى: يُجمع المؤرخون أن السومريين هم من ارتقوا بنموذج الزقورة للذروة، ابتداءً من الألف الثالث ق.م. ففي ظل غياب الجبال في السهول العراقية جنوباً، ابتدع السومريون جبالاً صناعية "مقدسة" تستحق أن تكون مقراً للآلهة. شُيدت أولى الزقورات في مدن أوروك وأريدو وأور، وتعتبر زقورة أور النموذج الأكمل والأفضل حفظاً مع قاعدتها الهائلة المشيدة من اللبن، ومدرجاتها الثلاثة الأصلية (قبيسي، ٢٠٢٠م: ٣٣–٤٩).

٢–**الزقورات الأكادية والكيشية:** استمرار وتطور: مع الهيمنة الأكادية في أواخر الألف الثالث ق.م، توسعت فكرة الزقورة، حيث اعتمدت الطبقة الحاكمة الأكادية بناءها كوسيلة لإظهار السلطة العسكرية والبنية المركزية للدولة. وقد تناقلت نصوص الملوك الأكاديين تقديس الزقورة والإشراف على بنائها، ونقلوا نموذجه لمعابد الشمال والوسط، مع إضافات معمارية ملحوظة،

وفي عصور الكيشيين، نرى نموذج زقورة عقرقوف (دور كوريغالزو) شاهداً آخر على نقل الفكر الزقوري إلى وسط العراق وإضفاء طابع محصّن ودفاعي يرتبط تحت الأرض بشبكة المرافق العامة والمدينة الملكية (زايد، ١٩٩٢م: ٢١٠-٢١١).

٣-**الزقورات البابلية:** الذروة والرمزية الأسطورية: بلغت الزقورات ذروتها في بابل خاصة مع زقورة بابل الشهيرة "إيتيمينانكي" وتعني "بيت أساس السماء والأرض"، الواقعة في قلب المدينة المقدسة لمردوخ، وأصبحت هذه الزقورة رمز الحضارة البابلية، وارتبطت في المخيال الشعبي والديني بقصة برج بابل التوراتي، رمز الطموح البشري لوصل الأرض بالسماء (فريق تحرير موقع آثار، ٢٠٢٥م: ١-٣)، وقد دونت ألواح إيساجيل مقاسات دقيقة لطوابق الزقورة البابلية ومنشآتها وتوزيع الغرف، مع وصف دقيق للمعبد الأعلى وغرفه الست وأبعاد السلالم الكبرى والمساحات المقدسة.

٤-**الزقورات الآشورية:** الطابع العسكري والهندسي: في الحضارة الآشورية، أخذت الزقورات طابعاً أكثر قوة ودفاعية، وبُنيت قرب القصور وداخل المدن الحصينة (مثال زقورة آشور)، وتميزت بالاستخدام الواسع للحجارة والأخشاب الجيدة والشرفات المزخرفة بالنقوش والتماثيل الضخمة، كما ظهرت فكرة إدماج الزقورات والمعبد في مجمع واحد محصن، واهتم الملوك الآشوريون باستعراض مشاهد انتصاراتهم على جداريات الزقورات، وجعلوها رمزاً لعظمة الدولة والمجد الإمبراطوري (عبد القادر، ٢٠٢١م: ٧٧-٨٠).

وفيما يلي تحليل لأهم نماذج الزقورات البارزة:

١-**زقورة أور:** تعد زقورة أور المثال الأكمل والأوضح للمعمار السومري الزقوري، شيدها الملك أور نمو نحو ٢١٠٠ ق.م، وأكملها ابنه شلجي، وبنيت من قاعدة مستطيلة ضخمة أبعادها ٦٤×٤٦ متر تقريباً، بارتفاع أولي تقديري يقارب ٣٠ متراً، موزعة على ثلاث مصاطب ضخمة فوق بعضها البعض، تعلوها منصة معبد نانا/سين، إله القمر. وتم ترميم أجزاء منها في العهد البابلي الحديث (نبونيدوس)، وفي الثمانينيات من القرن العشرين. حيث تضم قمة الزقورة معبداً صغيراً وعدد من الغرف والمخازن، وزودت بنظام تصريف فعال لمنع تلف اللبن جراء الأمطار. وتُعد الآن من أكثر الأوابد العراقية الأثرية شهرة، وأدرجت ضمن قائمة التراث العالمي، ولاتزال حتى اللحظة محط زيارات أكاديمية وسياحية، آخرها زيارة البابا فرانسيس عام ٢٠٢١ (عبد القادر، ٢٠٢١م: ٧٧-٨٠).

٢-**زقورة بابل (إيتيمينانكي):** بنيت زقورة بابل منذ حقبة حمورابي تقريباً وأعيد بناؤها وترميمها في عهد نبوخذ نصر الثاني (٦٠٥-٥٦٢ ق.م)؛ وكانت تقع إلى الشمال من معبد إيساجيلا،

خصيصاً لعبادة الإله مردوخ، واعتُبرت أعظم الزقورات المدرجة، بطوابقها الستة أو السبعة، مع معبد كبير في القمة. سجلت ألواح إيساجيل أبعادها: قاعدتها مربعة عند ٩٠–٩١ متراً لكل ضلع وارتفاعها يصل إلى ٩٠ متراً، ما يجعلها من الأعلى على مستوى العالم القديم. ارتبطت الزقورة في المخيال الديني بقصة برج بابل (العهد القديم)، ووصفت في الأدب البابلي والعهد التوراتي كمحاولة جسور لاقتلاع حدود الفاصل بين الإنسان والسماء، بما يحمل أبعاداً رمزية لسلطة الملوك وشغف الشعب الرافديني بالتسامي الكوني (عبد القادر، ٢٠٢١م: ٧٧–٩٤).

٣–**زقورة عقرقوف:** شيدت زقورة عقرقوف (دور كوريغالزو) غرب بغداد، في القرن الرابع عشر ق.م، بواسطة الملك الكيشي كوريغالزو الأول، وتُعد من أهم معالم الدولة الكيشية، واستخدم البناؤون اللبن والحصر الطينية المدعمة للهيكل، وزُودت بمنافذ للتهوية وتصريف المياه، ما منحها صلابة عالية مكنتها من مقاومة الفيضانات، ويبلغ ارتفاعها نحو ٥٢ متراً. برز للزقورة أبعاد دينية دفاعية وسياحية واضحة: معبد كبير في القمة للآلهة الرئيسية (أنليل، نينليل)، وأسوار ضخمة كانت تحيط المدينة، علاوة على قصر ملكي وتخطيط إداري متطور. تعرضت كما هو حال الزقورات الأخرى لهجمات الدهور وعوامل الطبيعة، لكنها تبقى شاهداً على العبقرية الكيشية (عبد القادر، ٢٠٢١م: ٧٧–٩٤).

٤–**زقورة نيبور:** زقورة نيبور (نفر) كانت مركز العبادة للإله إنليل، الإله الأعلى في بلاد سومر، واحتفظت بمكانتها الدينية حتى العصور البابلية المتأخرة، واتسمت بموقعها الجغرافي الاستراتيجي وقاعدتها الضخمة، إضافة لتوظيفها في الأعمال الفلكية والطقسية والإدارية، وعُثر في الموقع على ألواح طينية هامة ونقوش سومرية أكدت مركزية هذه المدينة والزقورة في الحياة الدينية للسومريين وأحفادهم (عبد العزيز، ٢٠٢٠م: ٦٠).

٥–**زقورة كيش:** تقع زقورة كيش قرب مدينة بابل، وعليها ترك السومريون بصمتهم الإنشائية والدينية، وإن كانت حالتها الآثارية اليوم أقل حفظاً، زقورة كيش، المدفونة غالباً تحت الرمال، توفر مثالاً على تنوع أشكال الزقورات وتوزعاتها وعدد الطبقات، كما تعكس دورها السياسي والديني كمركز عبادة محلي وكعنصر تنافسي بين العواصم الرافدينية (عبد العزيز، ٢٠٢٠م: ٦٠).

تميزت الزقورات، رغم ما يبدو من صرامتها الحجمية، بثراء زخرفي واضح، سواء في الواجهات الخارجية أو مناطق العبادة العلوية. برزت الطلعات والدخلات الهندسية في الجدران، حيث كان هدفها المعماري تخفيف ضغط الكتلة، وفي الوقت ذاته إضفاء ظل ونور متغيرين على الجدار مما يمنح البناء حيوية بصرية، كما استعمل القير والطلاء الملون، وطوب مزجج بألوان مشعة

وأشكال تموجية (عبد العزيز، ٢٠٢٠م: ٦٠)، وفي المعابد العلوية، كثرت النقوش الدينية والألواح المزخرفة بالتماثيل الصغيرة والعناصر النباتية والهندسية. بل وجدت عند بعض النماذج آثار لاستخدام الذهب والفضة والأحجار الكريمة في التزيين، خاصة بمذبح الإله أو المقاعد المخصصة للطقوس الرئيسية، هذا العنصر الجمالي، مقروناً بالفخامة البنيوية، عزز دور الزقورة في إبداع هوية معمارية دينية فريدة أثرت لاحقاً على عمارة المعابد في حضارات الشرق الأدنى، وربما كان لها صدى ما في نماذج الأهرامات المعمارية حول العالم (عبد الله، ٢٠١٩م: ٤٢-٤٧).

•الزقورات في الأساطير والأدب:

مثلما ورد في النصوص الدينية القديمة والأساطير، ارتبطت الزقورات بمفاهيم كونية ورموز روحية عميقة. هي "الجبل الكوني"، معبر القوى بين الثلاثة عوالم: الأرض (البشر)، السماء (الآلهة)، والعالم السفلي (الأرواح الشريرة). ظهرت صور الزقورة في ملحمة جلجامش وغيرها بالتلميح أو التصريح إلى طموح الإنسان السومري للاتصال بالسماء وبلوغ الخلود والمعرفة. كما تردد في الأسطورة البابلية قصة "برج بابل"، المتجذرة في الزقورة البابلية، باعتبارها صرحاً حاول الإنسان عبره تحدي حدود الطبيعة الإلهية، فبلبل الله الألسنة وقسم البشر أمماً. أما الزقورات كرمز للنظام الكوني، فقد شكلت بحسب نظامها الطبقي المجسد لنظام الكون فكرة الارتقاء الروحي عبر طبقات الوجود حتى بلوغ الرب الأعلى (يوسف، ٢٠٢٢م: ٦٧).

•أسباب التهميش السياحي للزقورات:

بالرغم من العمق الحضاري والديني والمعماري للزقورات، إلا أنها تعاني اليوم من تراجعٍ حاد في رصيدها السياحي، على المستوى المحلي والدولي. وتلتقي الدراسات والأخبار السياحية على عدد من الأسباب الجوهرية، منها (السامرائي، ٢٠١٨م:١٣٠-١٤٥):

السبب	تحليل معمق
الوضع الأمني وعدم الاستقرار	أدى العقود الطويلة من الحروب، وغياب الاستقرار بعد ٢٠٠٣ ، إلى تغييب المواقع الأثرية عن خطة التنمية وأجندة السياحة الوطنية، وجعل الزقورات في مناطق يصعب الوصول إليها أحياناً.
ضعف البنى التحتية والخدمات	افتقار المناطق الأثرية للطرق المعبدة، الفنادق، المراكز الإرشادية، والخدمات السياحية الحديثة، جعل الزقورة غير جاذبة للزوار.
التسويق والإعلام	غياب الحملات الإعلامية الفعالة، ونقص أدوات الترويج، وغياب الزقورات عن برامج

التبادل الثقافي والمعارض والمؤتمرات الدولية.	**الضعيف**
غياب الاهتمام المؤسسي بقطاع السياحة الثقافية وتداخل المسؤوليات بين الوزارات المختلفة، ونقص التمويل لمشروعات الصيانة.	**الإهمال الإداري وضعف الإدارة المحلية**
التهديدات البيئية)الأمطار، التعرية (والتدمير البشري)الحروب، السرقة، التخريب، التجريف الزراعي، العمران العشوائي.(	**تضرر المواقع الأثرية**
ضعف التعليم الأثري والهوية الوطنية عند النشء والشباب، وغياب الفعاليات المدرسية والتربوية المرتبطة بهذه المواقع.	**التعليم والوعي المجتمعي**
تحريم بعض التيارات الفكرية والسياسية للمواقع الأثرية وربطها بالوثنية أو ماضي الأديان القديمة.	**الاعتبارات الدينية والفكرية**

رغم ما تشهده بعض الزقورات مثل أور من اهتمام نسبي مع مواسم الزيارات الرسمية والدينية، إلا أن بقية المواقع الزقورية تعاني الإهمال وحتى الإندثار كما هو الحال في كيش وعقرقوف وغيرها.

•مقارنة الاهتمام المحلي والدولي بزقورات العراق:

لا يمكن إنكار الجهود المحلية المخلصة التي تبذلها دائرة الآثار العراقية ووزارة الثقافة عبر مشاريع الصيانة الدورية (مثال أعمال ترميم أور وعقرقوف)، إلا أن مستوى الحضور والدعم ما زال دون الطموح، بالمقارنة مع نماذج الاهتمام العالمي بمواقع أثرية أخرى في دول الجوار والمنطقة العربية. تتضح المقارنة في النقاط التالية:

١-محلياً: يعاني القطاع السياحي الأثري نقصاً حاداً بالتمويل، وقصوراً في التدريب والبحث العلمي، وتداخلاً في الإدارات، مع غلبة الأدوار المركزية وتهميش للمجتمعات المحلية (الخميسي، ٢٠٢٣م: ١٥).

٢-دولياً: ثمة حضور لبعض المنظمات الدولية (اليونسكو، ICOMOS) في تسجيل وتوثيق وصيانة القليل من المواقع كأور – مدرجة ضمن التراث العالمي – لكن مساهماتهم غالباً ما تقتصر على التمويل المؤقت أو التدريب الفني دون استراتيجية تكاملية طويلة المدى (علي، د. ت: ١٩٧).

نجد في مصر مثلاً استثماراً ضخماً بالمواقع الهرمية كمحور رئيسي للتنمية السياحية، مدعوماً بتنسيق بين الوزارات، وتمويل حكومي متجدد، وبرامج تعليمية وترفيهية تستهدف جميع الأعمار على مدار السنة، وتقارن جهود استعادة وترميم القطع الأثرية العراقية من الخارج (أكثر من ١٧ ألف قطعة مهربة منذ ٢٠٢١) مع تراجع المبادرات لصيانة وتأهيل المواقع جوهرياً في أرض العراق (علي، د. ت: ١٩٧).

●الزقورات والسياحة الثقافية: مصفوفة الحلول العملية:

أمام هذا التراجع والتهديد، تبرز الحاجة لرؤية استراتيجية متكاملة تتبنى نموذج السياحة الثقافية كرافعة لإنعاش المواقع الزقورية، وجعلها محور جذب ثقافي وترفيهي وتنموي في آن. وتتلخص أبرز المقترحات العملية كما يلي (الخميسي، ٢٠٢٣م: ١٥):

١-تطوير البنية التحتية والخدمات: تحسين الطرق والمواصلات المؤدية للمواقع الزقورية، توفير فنادق ومنشآت ضيافة ومراكز إرشاد بمواصفات عالمية حول المواقع.

٢-برامج التوعية والتعليم: إدخال مفردات خاصة بالزقورات في مناهج التعليم، وبرمجة زيارات مدرسية وجامعية منتظمة، وإقامة ورش عمل وفعاليات ثقافية في المواقع الأثرية.

٣-تسويق وترويج سياحي حديث: إعداد مواد إعلامية وتوثيقية وتحويل المواقع الزقورية إلى محطات في مسارات السياحة الداخلية والخارجية، وإطلاق اللوحات الإرشادية الرقمية والورقية بلغات متعددة.

٤-شراكات محلية-دولية: إشراك منظمات دولية (اليونسكو، المتاحف الأجنبية، الجامعات العالمية) في رسم خطط الترميم وبناء قدرات الكوادر المحلية، وتوفير دعم مالي وتقني مستدام.

٥-إدارة الموقع الشاملة: تأسيس إدارة متخصصة لكل موقع، تضم ممثلين عن وزارة الثقافة، والحكومة المحلية، والمجتمع المدني، وخبراء آثار وسياحة.

٦-الأنشطة المستدامة الفعالة: تنظيم مهرجانات ومعارض حية وفنية وسينمائية وحرفية، بحيث تغدو الزقورة مركزاً دائماً للتبادل الثقافي والسياحي، وليس وجهة موسمية عابرة.

٧-تشغيل المجتمعات المحلية: تمكين شباب وأهالي المناطق القريبة من المواقع عبر التدريب والتوظيف كأدلاء سياحيين، وحرفيين، ومقدمين للخدمات والمشغولات التراثية.

٨-توظيف التكنولوجيا الحديثة: رقمنة الآثار وإطلاق تطبيقات تفاعلية تسمح بجولات افتراضية داخل وخارج العراق، والجمع بين الواقع المعزز والتعليم الحي.

٩-مراقبة وترميم دوري: وفقا لأحدث المعايير الدولية في صيانة الطوب اللبن والتراث المعماري، مع رقابة مستمرة على آثار التعرية والفيضانات والعوامل البشرية.

١٠-التسويق الدولي والمناسبات الكبيرة: اختيار مناسبات كبرى إقليمية ودولية (عواصم السياحة – الأسابيع الثقافية – الاحتفال بيوم التراث العالمي) لتسليط الضوء إعلامياً على الزقورات.

على ضوء ما سبق، يمكن أن تتحول المواقع الزقورية من عبء إداري ومزار متخصص للمؤرخين فحسب، إلى عنصر فعّال في التنمية السياحية الشاملة ورافد للاقتصاد الوطني العراقي وخزان للذاكرة الجمعية والهوية.

الخاتمة:

تلخص الزقورات العراقية حكاية آلاف السنين من الإبداع المعماري، والتجليات الدينية، والصراعات السياسية، والأساطير التكوينية في أديم بلاد ما بين النهرين. إنها ليست مجرد أبراج من الطين والآجر، بل شهادة حية على أصالة الإنسان العراقي، وحرصه الأزلي على الارتقاء من التراب نحو السماء، راجياً رضا الآلهة ونظام الكون واستدامة العمران. وغني عن القول أن استمرار تهميش هذه الشواخص لا يهدد بتدمير معمار فريد وحسب، بل يقطع صلة بالهوية التاريخية، ويحرم العراق من مورد استراتيجي ضخم ضمن مسارات السياحة الثقافية والاقتصاد البديل المستدام.

لهذا، لزامٌ على صناع القرار، والمجتمعات المحلية، والمنظمات الدولية، أن يعوا حجم الخطر، وأن يعملوا في جبهة واحدة لصون هذا الإرث، وتحويل الزقورات إلى منصات عبور نحو المستقبل من خلال الفهم، والتعريف، والإدارة، والإبداع السياحي والحضاري.

النتائج:

١-الزقورات تمثل ذروة العمارة الدينية في حضارات بلاد الرافدين، وتُجسّد رؤية الإنسان القديم للعلاقة بين الأرض والسماء، مما يمنحها قيمة رمزية وتاريخية فريدة.

٢-أبرز الزقورات مثل زقورة أور وعقرقوف وجغا زنبيل تُعد شواهد حيّة على تطور الفكر المعماري والديني، لكنها لا تحظى بالاهتمام الكافي في السياق السياحي المعاصر.

٣-التهميش السياحي للزقورات يعود إلى عوامل متعددة، منها ضعف الترويج الإعلامي، غياب الخطط السياحية المتخصصة، وتراجع الوعي الثقافي لدى الجمهور المحلي والدولي.

٤-الفجوة واضحة بين الاهتمام المحلي والدولي، حيث تُدرج بعض الزقورات ضمن التراث العالمي، لكنها لا تُستثمر سياحي بشكل فعّال في الداخل.

٥-غياب التكامل بين الجهات الثقافية والسياحية والتعليمية ساهم في تراجع حضور الزقورات في المناهج الدراسية والخرائط السياحية.

توصيات البحث:

استناد إلى النتائج السابقة، يوصي البحث بما يلي:

١- إطلاق حملات إعلامية وتثقيفية للتعريف بالزقورات وأهميتها التاريخية والدينية، باستخدام الوسائط الرقمية والمرئية.

٢-إدراج الزقورات ضمن المناهج التعليمية في مراحل التعليم المختلفة، لتعزيز الوعي الثقافي لدى الأجيال الجديدة.

٣-تصميم مسارات سياحية متخصصة تشمل زيارة الزقورات وربطها بمواقع أثرية أخرى، مع توفير أدلة سياحية متعددة اللغات.

٤- تعزيز التعاون بين وزارات السياحة والثقافة والتعليم لوضع خطة وطنية لإحياء الزقورات سياحي وثقافي.

٥- تطوير البنية التحتية المحيطة بالزقورات، مثل الطرق والمرافق والخدمات، بما يضمن تجربة سياحية متكاملة وآمنة.

٦- دعم الأبحاث الأكاديمية حول الزقورات من خلال تمويل الدراسات، وتوفير أرشيف رقمي موثّق للمصادر والنقوش والخرائط.

٧- الاستفادة من المنظمات الدولية مثل اليونسكو في حماية الزقورات وترويجها عالمي، وربطها بمشاريع التراث الثقافي المشترك.

ثبت المصادر والمراجع:

١.باقر، طه. (١٩٥٦). مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة: حضارة وادي النيل (ط. ٢، ج. ٢). شركة التجارة والطباعة المحدودة.

٢.باقر، طه. (١٩٧٣). مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة. دار الحرية للطباعة.

٣.باقر، طه. (١٩٨٠). موجز في تاريخ العلوم والمعارف في الحضارات القديمة والحضارة العربية الإسلامية (ط. ١). مركز إحياء التراث العلمي العربي-جامعة بغداد.

٤.البرازي، نوري خليل. (١٩٦٢). السكان في العراق. مجلة كلية الآداب (جامعة بغداد)، (٥).

٥.بفن، إدون. (١٩٦١). أرض النهرين (الأب أنستاس ماري الكرملي والأب لويس مرتين الكرملي، المترجمون؛ حكمة توماشي، محقق). مطبعة المعارف.

٦.الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله ياقوت. (١٩٥٧). معجم البلدان (ط. ١). دار صادر.

٧.حنون، نائل. (٢٠٠٥). العمارة الدينية في بلاد الرافدين. دار الشؤون الثقافية العامة.

٨.الخميسي، عضيد جواد. (٢٠٢٣). الزقورات في بلاد الرافدين. مجلة الحوار المتمدن، دراسات وأبحاث في التاريخ والتراث واللغات، (٤).

٩.الدباغ، تقي الدين، & الجادر، وليد. (١٩٨٣). عصور ما قبل التاريخ. مطبعة جامعة بغداد.

١٠.الدوري، عبد العزيز. (١٩٤٨). تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري. مطبعة المعارف.

١١.روثن، مرغريت. (١٩٨٠). علوم البابليين (يوسف حبي، المعرب؛ سلسلة الكتب الجغرافية). وزارة الثقافة والإعلام، ودار الرشيد للنشر.
١٢.زايد، عبد الحميد. (١٩٩٢). تاريخ الشرق الأدنى القديم. دار المعارف.
١٣.ساكز، هاري. (١٩٧٩). عظمة بابل: موجز حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة (عامر سليمان إبراهيم، المترجم؛ ط. ١). مؤسسة دار الكتب.
١٤.ساكز، هاري. (١٩٩٩). قوة آشور (عامر سليمان، المترجم؛ ط. ١). مطبعة المجمع العلمي العراقي.
١٥.ساكز، هاري. (٢٠٠٠). الحياة اليومية في العراق القديم: بلاد بابل وآشور (كاظم سعد الدين، المترجم). دار الشؤون الثقافية العامة
١٦.السامرائي، عبد الرحمن. (٢٠١٨). الزقورات في العراق القديم: دراسة مقارنة مع المعابد المصرية. دار الرافدين.
١٧.السعدي، عباس فاضل. (١٩٩٢). ياقوت الحموي، دراسة في التراث الجغرافي العربي مع التركيز على العراق في معجم البلدان. دار الطليعة.
١٨.سوسة، أحمد. (١٩٤٥). وادي الفرات ومشروع سدة الهندية. مطبعة المعارف.
١٩.سوسة، أحمد. (١٩٧٤). الشريف الإدريسي في الجغرافيا العربية. بغداد: دن.
٢٠.سوسة، أحمد. (١٩٧٩). حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور. السلسلة الإعلامية. بغداد: وزارة الإعلام، دائرة العلاقات العامة.
٢١.سوسة، أحمد. (١٩٨٠). حضارة وادي الرافدين بين الساميين والسومريين. بغداد: وزارة الثقافة والإعلام؛ دار الرشيد.
٢٢.صالح، عبد العزيز. (١٩٩٨). الشرق الأدنى القديم: من العصر الحجري إلى الفتح الفارسي. دار النهضة العربية.
٢٣.الطعان، هاشم. (١٩٧٨). مساهمة العرب في دراسة اللغات السامية (الموسوعة الصغيرة، رقم ١٩). منشورات وزارة الثقافة والفنون.
٢٤.عبد العزيز، نوال. (٢٠٢٠). الزقورة في الفكر الديني السومري. مجلة التاريخ والآثار – جامعة الموصل، (٣٤).
٢٥.عبد القادر، محمد. (٢٠٢١). الزقورات في بلاد الرافدين: دراسة تاريخية دينية. مجلة كلية الآداب – جامعة بغداد، (٨٨).
٢٦.عبد الله، حسن. (٢٠١٩). الزقورات: بين الأسطورة والوظيفة المعمارية. مجلة التراث، (٢٢).
٢٧.عبد الواحد علي، فاضل. (٢٠٠٢). حضارة العراق القديم (ط. ١). دار الشؤون الثقافية العام
٢٨.علوان، حسن. (٢٠١٩). الزقورات في العراق القديم: دراسة معمارية دينية. مجلة التاريخ العربي، (٤٥).
٢٩.فان لون، هندريك. (١٩٥٧). قصة الجنس البشري (إبراهيم زكي خورشيد وأحمد الشناوي، المترجمون؛ ط. ٢، سلسلة كتاب الشعب). مطابع الشعب.
٣٠.فرانكفورت، هنري. (١٩٩٠). المدن الأولى في بلاد الرافدين. دار المأمون.

٣١.فريق تحرير موقع آثار. (٢٠٢٥). بحث حول الزقورة في حضارات بلاد الرافدين: أسرار العمارة القديمة. موقع آثار.
٣٢.فريق تحرير موقع آثار. (٢٠٢٥). بحث حول الزقورة في حضارات بلاد الرافدين: أسرار العمارة القديمة. موقع آثار، ١–٣.
٣٣.فهد، حسين. (٢٠٠٣). كتاب موسوعة علم الآثار (ط. ١). دار أسامة.
٣٤.قبيسي، محمد بهجت. (٢٠٢٠). الزقورات بين الأسطورة والوظيفة الدينية. مجلة التراث والآثار، (١٢).
٣٥.كريمر، صموئيل نوح. (٢٠٠١). تاريخ الحضارات السومرية. دار المدى.
٣٦.لانجر، وليم. (١٩٦٨). بلاد ما بين النهرين. في محمد مصطفى زيادة (مشرف الترجمة)، موسوعة تاريخ العالم. مؤسسة فرنكلين للطباعة ومكتبة النهضة.
٣٧.لويد، سيتون. (١٩٨٠). آثار بلاد الرافدين (سامي سعيد الأحمد، المترجم؛ ط. ١). دار الرشيد.
٣٨.الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد. (ب. ت). الأحكام السلطانية. المطبعة المحمودية التجارية
٣٩.المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين. (١٩٨١). التنبيه والإشراف. دار ومكتبة الهلال.
٤٠.المياح، علي محمد. (١٩٩٠). أرض السواد: دراسة في الجغرافيا والتاريخ. مجلة المجمع العلمي العراقي، ١(٤١).
٤١.ويلكوكس، وليم. (١٩٥٥). من جنة عدن إلى عبور نهر الأردن (محمد الهاشمي، المعرب). مطبعة المعارف.
٤٢.ويلكوكس، وليم. (١٩٥٥). من جنة عدن إلى عبور نهر الأردن (محمد الهاشمي، المعرب). مطبعة المعارف.
٤٣.يوسف، نزيه. (٢٠٢٢). الزقورات في بلاد الرافدين: قراءة في البنية والرمزية. مجلة الفكر العربي، (١٩).

List of Sources and References:

1 .Baqir, Taha. (1956). Introduction to the History of Ancient Civilizations: The Civilization of the Nile Valley (2nd ed., vol. 2). The Trade and Printing Company Limited.
2 .Baqir, Taha. (1973). Introduction to the History of Ancient Civilizations. Dar al-Hurriya Printing House.
3 .Baqir, Taha. (1980). A Summary of the History of Science and Knowledge in Ancient Civilizations and the Arab-Islamic Civilization (1st ed.). Center for the Revival of Arab Scientific Heritage - University of Baghdad.
4 .Al-Barazi, Nuri Khalil. (1962). Population in Iraq. Journal of the College of Arts (University of Baghdad), (5).

5 .Befen, Edwin. (1961). The Land of the Two Rivers (translated by Father Anastas Marie al-Karmali and Father Louis Martin al-Karmali; edited by Hikmat Toumachi). Al-Maaref Press.
6 .Al-Hamawi, Shihab al-Din Abu Abdullah ibn Abdullah Yaqut. (1957). Dictionary of Countries (1st ed.). Dar Sader.
7 .Hannoun, Nael. (2005). Religious Architecture in Mesopotamia. General Cultural Affairs House.

8 .Al-Khamisi, Adheed Jawad. (2023). Ziggurats in Mesopotamia. Civil Dialogue Journal, Studies and Research in History, Heritage, and Languages, (4.(
9 .Al-Dabbagh, Taqi al-Din, & Al-Jader, Waleed. (1983). Prehistoric Times. Baghdad University Press.
10 .Al-Douri, Abdul Aziz. (1948). The Economic History of Iraq in the Fourth Century AH. Al-Maaref Press.
11 .Ruthen, Margaret. (1980). The Sciences of the Babylonians (Yusuf Habib, translated; Geographical Books Series). Ministry of Culture and Information, and Dar Al-Rasheed Publishing.
12 .Zayed, Abdul Hameed. (1992). History of the Ancient Near East. Dar Al-Maaref.
13. Saggs, Harry. (1979). The Greatness of Babylon: A Brief History of Ancient Mesopotamia (translated by Amer Suleiman Ibrahim; 1st ed.). Dar Al-Kutub Foundation.
14 .Saggs, Harry. (1999). The Power of Assyria (translated by Amer Suleiman; 1st ed.). Iraqi Scientific Academy Press.
15 .Saggs, Harry. (2000). Daily Life in Ancient Iraq: Babylon and Assyria (translated by Kadhim Saad Al-Din). General Cultural Affairs House.
16 .Al-Samarrai, Abdul Rahman. (2018). Ziggurats in Ancient Iraq: A Comparative Study with Egyptian Temples. Dar Al-Rafidain.
17 .Al-Saadi, Abbas Fadel. (1992). Yaqut Al-Hamawi: A Study in Arab Geographical Heritage with a Focus on Iraq in the Dictionary of Countries. Dar Al-Tali'a.
18 .Susa, Ahmed. (1945). The Euphrates Valley and the Hindiya Dam Project. Al-Maaref Press.
19 .Sousseh, Ahmed. (1974). Al-Sharif Al-Idrisi in Arab Geography. Baghdad: [Publisher Name.[
20 .Sousseh, Ahmed. (1979). Arab Civilization and its Stages of Development Throughout the Ages. Media Series. Baghdad: Ministry of Information, Public Relations Department.
21 .Susa, Ahmad. (1980). The Civilization of Mesopotamia between the Semites and the Sumerians. Baghdad: Ministry of Culture and Information; Dar Al-Rasheed.
22 .Saleh, Abdul Aziz. (1998). The Ancient Near East: From the Stone Age to the Persian Conquest. Dar Al-Nahda Al-Arabiya.
23 .Al-Ta'an, Hashim. (1978). The Arab Contribution to the Study of Semitic Languages (The Small Encyclopedia, No. 19). Publications of the Ministry of Culture and Arts.
24 .Abdul Aziz, Nawal. (2020). The Ziggurat in Sumerian Religious Thought. Journal of History and Archaeology – University of Mosul, (34)
25 .Abdul Qadir, Muhammad. (2021). Ziggurats in Mesopotamia: A Historical and Religious Study. Journal of the College of Arts – University of Baghdad, (88)
26 .Abdullah, Hassan. (2019). Ziggurats: Between Myth and Architectural Function. Heritage Journal, (22).
27. Abdul Wahid Ali, Fadhil. (2002). The Civilization of Ancient Iraq (1st ed.). General Cultural Affairs House.
28 .Alwan, Hassan. (2019). Ziggurats in Ancient Iraq: A Religious Architectural Study. Arab History Journal, (45)
29 .Van Loon, Hendrik. (1957). The Story of Mankind (translated by Ibrahim Zaki Khurshid and Ahmed Al-Shinawi; 2nd ed., People's Book Series). People's Press.

30 .Frankfurt, Henri. (1990). The First Cities of Mesopotamia. Dar Al-Ma'mun.
31 .Athar Website Editorial Team. (2025). Research on the Ziggurat in Mesopotamian Civilizations: Secrets of Ancient Architecture. Athar Website.
32 .Athar Website Editorial Team. (2025). Research on the Ziggurat in Mesopotamian Civilizations: Secrets of Ancient Architecture. Athar Website, 1–3.
33 .Fahd, Hussein. (2003). Encyclopedia of Archaeology (1st ed.). Osama Publishing House.
34 .Qubaisi, Muhammad Bahjat. (2020). Ziggurats: Between Myth and Religious Function. Heritage and Antiquities Journal, (12).
35 .Kramer, Samuel Noah. (2001). A History of Sumerian Civilizations. Al-Mada Publishing House.
36 .Langer, William. (1968). Mesopotamia. In Muhammad Mustafa Ziyada (translation supervisor), Encyclopedia of World History. Franklin Printing and Renaissance Library.
37 .Lloyd, Seton. (1980). The Antiquities of Mesopotamia (translator: Sami Saeed Al-Ahmad; 1st ed.). Al-Rasheed Publishing House.
38 .Al-Mawardi, Abu al-Hasan Ali ibn Muhammad. (n.d.). The Ordinances of Government. Al-Mahmoudiya Commercial Press.
39 .Al-Mas'udi, Abu al-Hasan Ali ibn al-Husayn. (1981). Admonition and Supervision. Al-Hilal Publishing House and Library.
40. Al-Miyah, Ali Muhammad. (1990). The Land of Blackness: A Study in Geography and History. Journal of the Iraqi Scientific Academy, 1(41)
41 .Wilcox, William. (1955). From the Garden of Eden to Crossing the Jordan River (translated by Muhammad al-Hashimi). Al-Ma'arif Press.
42 .Wilcox, William. (1955). From the Garden of Eden to Crossing the Jordan River (translated by Muhammad al-Hashimi). Al-Ma'arif Press.
43 .Yusuf, Nazih. (2022). Ziggurats in Mesopotamia: A Reading in Structure and Symbolism. Arab Thought Journal, (19).

مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ٢٠٢٦ المجلد ١٦/ العدد ٢